

الامتيازات الاقتصادية الفرنسية في الجزائر خلال القرن السادس عشر أ/ الشيخ لكلل - جامعة غرداية

تمهيد:

عرف الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط، خلال القرن السادس عشر، احتدام الصراع بين ضفتيه المتقابلتين الشمالية والجنوبية، وقد مثل الصدام العثماني الأسباني أهم فصوله؛ إذ شهد في مطلع تصاعد الغارات الأيبيرية على شمال إفريقيا منذ سقوط الأندلس، وما تلى ذلك من وفود الأتراك العثمانيين؛ الذين أخذوا على عاتقهم ردّ تلك الهجمات، وتحرير المدن المغاربية من التواجد الأيبيري. وقد مثلت الجزائر أهمّ واجهة لهذا الصراع؛ فبالإضافة إلى جغرافيتها الكبيرة، والممتدة على مساحة معتبرة من الضفة الجنوبية، فقد شكّلت، بعد انضوائها تحت السلطنة العثمانية، رأس الحربة الإسلامية في مواجهة قوى غرب أوروبا المسيحية.

أما الدولة الفرنسية الطامحة إلى استعادة مجدها الصليبي، فقد أجبرتها المنافسة الأسبانية على التحالف مع العدو العثماني. إلا أنّ ذلك لم يكن مُيسراً مع الجزائر؛ فرغم ولاء الجزائر للعثمانيين، إلا أنها كانت تتوجّس من الحليف الفرنسي، الذي لم يُخفِ مطامعه في الاستيلاء على الجزائر كلما توفّرت الظروف المناسبة.

ورغم ذلك التحفظ الذي كانت تبديه الجزائر اتجاه حلفاء السلطان، إلا أنّ فرنسا نجحت في تثبيت قواعد لها في الجزائر، مستغلة جشع بعض حكام الجزائر حيناً، وتحالفها مع السلطنة العثمانية أحياناً كثيرة؛ إذ نجحت شركة لينش المرسلية في الحصول على امتيازات اقتصادية وتجارية في شرق الجزائر، وأسست أول شركة تجارية فرنسية على أرض الجزائر، والمعروفة بوكالة حصن فرنسا، أو الباستيون. فكيف كانت بداية الامتيازات الاقتصادية الفرنسية في الجزائر؟ وما مظاهر نشاطها وتطورها خلال القرن السادس عشر؟

1- التعريف بوكالة الباستيون (Bastion de France):

الباستيون هو حصن فرنسا التجاري الواقع على بعد بضعة كيلومترات شرق مدينة عنابه، على الساحل الشرقي للجزائر، وقد أسس خلال القرن السادس عشر، حين قدم المرسلين توماس لينش (Thomas Linche)، و كارلين ديديه (Carlin Didier)، وتحصّلاً على موافقة الأهالي باستغلال حوالي 30 كيلومتر من الشريط الساحلي الممتد من الرأس الأحمر (CapRoux) إلى وادي سيبوس. فقاما بإنشاء أول محطة تجارية، على شاطئ خليج بومالك، أطلقا عليها اسم "لوباستيدون" (Lou Bastidoun)، والتي تعني بالبروفانسية، الحصن الصغير، و الذي أصبح يسمى فيما بعد بـ حصن فرنسا. أما هيكله، فهو عبارة عن حصن ضخم مربع الشكل على ساحل البحر، يشتمل على ساحة كبيرة، وأخرى أقل حجماً، يتوسطهما برج المراقبة. كما

يضم كنيسةً ومقبرةً، ومنازلَ للضباط، ومخازنَ للبضائع، يحيط به سور ضخّم ومجموعة من المدافع. ويتسع لحوالي 800 شخص، ويتبع له عدد من المراكز الصغيرة بين جيجل والقالا، ويضم أيضاً أطباءً وصيادلة للعلاج ولتحضير الأدوية.3

2- الاتصالات الأولى:

يذهب كثير من المؤرخين إلى أنّ الاتصالات بين الجزائر وفرنسا قديمة جداً، وقد لا يبدو هذا مستغرباً بالنسبة لقطرين يتربعان على مساحة معتبرة من ضفتي المتوسط المتقابلتين، ولهذا فقد قامت علاقة بين هذين الكيانين، أخذت عدة أشكال تجارية وسياسية وغيرها، وتقلب بين مظاهر التقارب والتعاون حيناً، والتنافر والتنافس أحياناً كثيرةً.

فقد كان للمرسيليين، منذ القرن الثاني عشر، علاقات تجارية بالسواحل المغربية، منافسين في ذلك الجنوبيين، والكتّليين، وغيرهم من الأوربيين. وهكذا عقد حكام مرسيليا، في بداية القرن الرابع عشر، معاهدة تجارة وملاحة مع ملك بجاية، أبو يحيى زكريا.4 وكان المرسيليون يأتون إلى بجاية بمعادن، وأقمشة، وآلات حديدية، ويأخذون منها خيولاً، وأصوافاً، وزيتاً، وجلوداً، وهذه الأخيرة كانوا يعيدون بيعها بأثمان غالية في اسبانيا وإيطاليا، وكان لهم قنصلٌ يرعى مصالحهم لدى سلطان بجاية.5 وإذا سلّمنا بما ذكره أوجين بلانتي (Eugène Plantet)، فإنّ التجار البروفانسيين؛ القادمين من جنوب فرنسا، يكونون قد تحصّلوا من شيوخ الأهالي على امتياز صيد المرجان على الشريط الساحلي الممتد من طبرقة إلى عنابة، منذ سنة 883هـ/1478م.6 ويبدو أنّ هذا الاتفاق كان تمهيداً لبناء الحصن التجاري الفرنسي، أي الباستيون.

ورغم التعثر الذي عرفه هذا المشروع، بسبب الأحداث التي شهدتها المنطقة، في مطلع القرن السادس عشر، من الاحتلال الإسباني للمدن والمراكز الساحلية الجزائرية؛ حيث احتلت بجاية سنة 916هـ/1510م، وعنابة سنة 942هـ/1535م، وما نتج عنه من تنقّل الجنوبيين في هذه المناطق، وكذلك قدوم الأتراك العثمانيين إلى المنطقة، وسعيهم لتوحيد البلاد تحت حكومة مركزية في مدينة الجزائر، إلا أنّ التحالف العثماني الفرنسي، وما نتج من معاهدة الامتيازات، قد ساهم في ازدياد النفوذ الفرنسي في الولايات العثمانية، ومنها الجزائر.

لقد اعتبرت معاهدة الامتيازات؛ التي وقّعت سنة 1536م، بدايةً لتوسّع النفوذ الفرنسي في ممالك السلطنة، إذ نصت على منح الفرنسيين الكثير من الامتيازات القصلية، والتجارية، وحتى الدينية. لكن هل نصت على المراكز التجارية الفرنسية في الجزائر؟

إنّ هذه المعاهدة قد جعلت الفرنسيين يدّعون بأنّ لهم وجوداً موعلاً في القدم فوق هذه الأراضي؛ فهذا أوجين بلانتي يجزم بأنّ البند الثاني عشر من معاهدة الامتيازات

لسنة 942هـ/1536م، يعدّ اعترافاً من الدولة العثمانية بالامتيازات التجارية للفرنسيين في الجزائر وفي تونس. 7 كما أنّ فيرو (Féraud) قد سبق بلانتي في إشارته إلى تنصيب المعاهدة على المراكز الفرنسية في الجزائر. وهو، وإن لم يُشير إلى رقم البند المذكور، إلا أنه ذكر بأن دي لافوري (De Laforest) 8 قد نجح في إدراج بندٍ إضافي متعلق بالموضوع في النسخة التي بعثها السلطان إلى حكام الجزائر، مع أوامرٍ مشددةٍ باحترام بنود المعاهدة. 9 لكنّ بول ماسون (Paul Masson) ردّ هذا الادعاء، عندما أكد بأنّ البند المذكور، في نسخ المعاهدة التي اطلع عليها في المراكز الأرشيفية، لا يشير بأي حال إلى المراكز الفرنسية في الجزائر، كما أنه لم يعلق على ما أضافه فيرو. 10

وعلى كل حال، فإننا وجدنا أنّ البند المذكور، في النسخ التي اطلعنا عليها، لا يحتوي على أية إشارة لهذا الموضوع. 11 ولهذا، فقد يكون هناك التباس لدى أوجين بين معاهدة الامتيازات الأولى، سنة 1536م/942هـ، وتلك التي تمّ تجديدها من طرف السلطان أحمد الأول 12 سنة 1012هـ/1604م، والتي نصّت بشكل صريح، على حقّ الفرنسيين في صيد المرجان في ساحل سطورة (Stora)، شرق الجزائر، إضافةً إلى أنّ فيرو لم يُشير إلى المصدر الذي أخذ منه هذه المعلومة الهامة.

3- تأسيس الباستيون:

إنّ التاريخ الدقيق لتأسيس وكالة الباستيون يكتنفه الكثير من الغموض؛ وذلك نظراً لتضارب الروايات التاريخية التي تتحدث عن هذا الموضوع. وإن كانت الروايات المحليّة تعوزنا، إلا أننا نجد في الروايات الأوروبية؛ الفرنسية على وجه الخصوص، اختلافاً بيّناً حول هذا الموضوع.

هناك من توغل كثيراً في الزمن حينما زعم أنّ بداية تأسيس الباستيون يعود إلى حملة الدوق دوبربون (De Bourbon) على المهدية، في تونس، سنة 792هـ/1390م، لكنّ هذا مستبعدٌ جداً كما يقول لابريمودي (La Primaudaie)؛ 13 ذلك أنّ الرسالة التي بعثها الملك الفرنسي لويس الحادي عشر (Louis XI) إلى سلطان تونس وابنه أمير عنابه وبجاية، سنة 887هـ/1482م، والتي تتضمن الرغبة في تطوير العلاقات التجارية بين هذه المدن ومنطقة البروفانس، لا تتضمن أية إشارة إلى صيد المرجان، ولا إلى الممتلكات البروفانسية في هذه المناطق. 14 وهذا عكس ما ادعاه بلانتي من أنّ البروفانسيين، قد استفادوا من استغلال هذه المناطق منذ سنة 882هـ/1478م. كما أنّ نيكولاس دي نيكولاي (Nicolas de Nicolay)؛ مبعوث الملك الفرنسي إلى اسطنبول رفقة السفير دارامون (d'Aramont)، والذي زار السواحل الجزائرية، من مدينة الجزائر حتى عنابه، وفي هذه المدينة التقى مع القاضي؛ وذلك في سنة 956هـ/1550م، لم يحدثنا عن وجود الباستيون في هذه المناطق، ولا حتى عن مراكز فرنسية لصيد المرجان، بل أكثر من ذلك، فهو يحدثنا عن تواجد الجنوبيين في هذه المناطق. 15 وقد سبقه بييري

رايس العثماني (Pirî Reis) 16، الذي زار هذه المناطق في عشرينات القرن السادس عشر، واستطرد في وصف نشاط الجنويين في مرسى الخرز وغيره من المناطق الساحلية المجاورة، بينما لم يأتِ على ذكر أي نشاطٍ للفرنسيين. 17 إضافةً لكل ذلك، فإنَّ مؤرِّخي القرن السادس عشر؛ حسن الوزان ومارمول (Marmol)، قد أشارا إلى نشاط الجنويين قرب عنابه؛ إذ أكد كلاهما على تحصيل الجنويين على امتياز صيد المرجان في هذه المناطق، ورغبتهم في بناء تحصينات لمراكزهم من هجمات القراصنة، لكنَّ الأهالي تدخلوا لدى السلطان الحفصي خشيةً أن يستغل الجنويون هذه المراكز للهجوم على مدينة عنابه. 18

إنَّ كلَّ تلك المصادر لم تُشير إلى أيِّ نشاطٍ فرنسي في النصف الأول من القرن السادس عشر، وهذا ما يفتدُّ ما ذهب إليه بلانتي من أنه في الوقت الذي كان فيه خير الدين يحاول بسط سيطرته على عنابه وقسنطينة سنة 926هـ/1520م، كان التجار البروفنسيون يعتقدون اتفاقاً مع الأهالي لاستغلال الشريط الممتد من طبرقة إلى عنابه لصيد المرجان. 19 ويتعارض أيضاً مع ما ذهب إليه فيرو؛ من قدوم المرسيليين توماس لانش (Thomas Linche)، وكارلين ديديه (Carlin Didier)، سنة 931هـ/1524م، وتحصيلهما على موافقة الأهالي باستغلال حوالي 30 كيلومتر من الشريط الساحلي الممتد من الرأس الأحمر (CapRoux) إلى وادي سيبوس وقيامهما بإنشاء أول محطة تجارية، على شاطئ خليج بومالك، أطلقا عليها اسم "لوباستيدون" (Lou Bastidoun). 20 لكن متى تمَّ بناء الباستيون؟

يقول الأب دان (Pierre Dan): "أنَّ الباستيون قد شُيِّد، سنة 968هـ/1561م، من طرف تاجرين من مرسليليا هما توماس لانش وكارلين ديديه." 21 ويرى كالبيير (Galibert) أنَّ هذين التاجرين المارسيليين قد أنشأ، سنة 968هـ/1561م، مركزاً تجارياً في القالة؛ والذي يُعدُّ، حسب رأيه، باكورة المؤسسات التجارية الفرنسية في شمال إفريقيا. 22 وقد وافقه على ذلك روتالييه (Rotalier) حينما أكد أنَّ هذين البحَّارين قد تمكنا من تأسيس الباستيون سنة 968هـ/1561م. 23 وكذلك هو الشأن عند لابريموداي. 24 وقد وجدنا، في القسم الخاص بالتجارة من الموسوعة المنهجية (Encyclopédie Méthodique)، مذكراً، تعود إلى سنة 1188هـ/1775م، تتحدث عن البروفانسيين لانش وديديه اللذين تحصلا، سنة 967هـ/1560م، على موافقة الأهالي لصيد المرجان في الساحل الجزائري بين طبرقة وعنابه، مع السماح لهما بإنشاء مركزٍ بسيط غير محصن، أضحي يعرف في ما بعد بحصن فرنسا. 25 لذلك، فإنَّ ماسون يرى أنَّ ظهور المراكز الفرنسية يعود، على الأرجح، إلى سنة 967هـ/1560م. 26 كما أنَّ معاهدة الامتيازات، لسنة 942هـ/1536م، لم تتحدث عن هذه المراكز، كما بيَّنا آنفاً. وهذا دليل آخر على تأخر تأسيس الباستيون.

ويمكن القول أنّ الباستيون أسس سنة 968هـ/1561م، على الساحل الشرقي للجزائر، على بعد اثني عشر فرسخاً 27 شرق عنابه، وأربعة فراسخ غرب القالة، من طرف مؤسسة المرجان المارسيلىة 28؛ التي تحصّلت من السلطان سليمان القانوني، في مقابل رسوم تصل إلى 1500 أوقية (29 ecus) ذهبية تدفع إلى إيالة الجزائر، 30 على حقّ صيد المرجان في المناطق والخلجان الممتدة من الرأس الأحمر إلى واد سيبوس، مع السماح ببناء وكالة الباستيون، وبإجراء التحصينات اللازمة. 31

4- نشاط وكالة الباستيون خلال القرن السادس عشر.

بعد تأسيسها، سنة 968هـ/1561م، نشطت وكالة الباستيون في صيد المرجان، وذلك لتوفر هذه المادة في السواحل القريبة منها، وقد ذكر ماسون أنها عرفت ازدهاراً مطّرداً بسبب نوعية المرجان الرفيعة والمتوفرة بكميات كبيرة، ولهذا فقد ازدادت مداخيل هذه الشركة، وتوسّع نشاطها، حيث أقحمت نفسها في تجارة القمح منذ وقت مبكر؛ إذ كانت تستثمر جزءاً من مداخيلها في شراء كميات معتبرة من الحبوب من الأهالي، وتوريدها نحو مرسيليا وجنوة. 32

كما أنّ هذه الوكالة قد عرفت توسعاً جغرافياً بعد ضم مرسى الخرز 33، سنة 986هـ/1578م، بعد أن كان محلّ صراع بين الفرنسيين والجنوبيين. وتتضمن وثيقة من وثائق مهمة دفترى أمراً صادراً إلى بيلرباي الجزائر، بالسماح للفرنسيين بصيد المرجان في هذا المكان، وذلك بشرط عدم تحصينه أو تسليحه. وتشير الوثيقة أيضاً إلى ضرورة دفع الفرنسيين المستغلين لهذا المرسى، مقدار العُشر من مداخيله إلى خزينة الجزائر. 34

ورغم طابعها "المرجاني"، إلا أنّ الشركة تحصلت على امتياز شراء الجلود والصوف والشمع من أهالي المنطقة، وكذلك شراء ما يكفي من الحبوب لغذاء الصيادين وعائلاتهم، أي حوالي ألف قفيز 35 من الحبوب؛ حسب الاتفاق الذي أبرمته مع حكام الجزائر. إلا أنها كانت تنجح في تصدير كمّيات غير محدودة من الحبوب بفضل الهدايا التي كانت تقدمها للحكام المحليين. 36 وكان هؤلاء يحتكرون بيع المنتجات الزراعية لهذه الشركة وذلك بسعر أعلى من ذلك الذي تشتري به من الأهالي. وكان الحكام يتابعون الأسعار في الخارج لتحديد سعر بيعهم؛ وفي هذا الإطار فقد كان الاتفاق بين الشركة وخضر باشا على سعر 7 أوقية لقفيز القمح، لكنّه لما علم بأن مناطق فرنسا الجنوبية بحاجة ماسة للقمح، قام برفع السعر إلى 12 أوقية. 37

ونظراً للنشاط الكبير الذي كانت تقوم به هذه الوكالة التجارية، وأهمية مداخيلها بالنسبة لبيلربكية الجزائر، فقد كان إقليمها مطعماً لمسيّري الإدارة المحلية، سواء في بايلك الشرق أو حتى في تونس، لهذا فقد قام السلطان العثماني بإجراء ترتيبات إدارية في بايلك الشرق، تمثلت في استحداث لواء جديد يتركب من مناطق عنابة والباستيون وطبرقة وباجة، سنة 988هـ/1580م، وذلك بهدف إحداث التوازن الاقتصادي في

مداخليل ومصاريفِ أوطانِ الجزائر، كما تشير الوثيقة التي نشرها خليل ساحل أوغلي.38

ورغم الامتيازات التي منحها السلاطين العثمانيون للفرنسيين، خلال القرن السادس عشر، إلا أنّ وضع وكالة الباستيون لم يستقر إلا في نهاية القرن؛ إذ أنّ السلطان محمد الثالث 39 جدّد للفرنسيين هذه الامتيازات للمرة الرابعة، سنة 1006هـ/1597م، والتي مكنتهم من استغلال هذه الوكالة في صيد المرجان، وفي أنشطة تجارية علنية، مثل تجارة الجلود والشمع والكتان، وغيرها. وغير علنية، كتجارة الحبوب والقمح.40

5- ملحقات الباستيون:

هي تلك المراكز والموانئ ومناطق الأنشطة الاقتصادية الفرنسية التابعة للباستيون، وقد كانت منتشرة على الساحل الشرقي الجزائري.41 ورغم اختلاف نشاطها؛ من حيث تلك المتخصصة بصيد المرجان، أو التي استأثرت بتصدير نوعية معينة من السلع نظراً لقربها من مناطق جلب تلك السلع، أو تلك التي أخذت على عاتقها مهمة حماية مخازن المواد التي جمعت من الأهالي قبل نقلها نحو موانئ التصدير، قلت رغم كلّ ذلك، إلا أنها كانت تتبع إدارياً للباستيون، حيث أنّ كلّ تكاليف تلك المراكز؛ من أجر الموظفين والجنود، إلى مبالغ الكراء والتجهيز، وليس أخيراً بمدفوعات الضرائب المستحقة إلى السلطة المركزية، أو إلى الحكام المحليين، كانت كلّها تُدفع من خزينة الوكالة الأم؛ الباستيون.42 ورغم تلك التبعية الإدارية، إلا أننا وجدنا بأنّ بعض تلك الملحقات؛ والتي لم تتعرض للهدم، كانت تشهد حركة تجارية، رغم تعطل وكالة الباستيون بسبب تعرضها للهدم، كما حدث عدّة مرات في النصف الأول من القرن السابع عشر.43 وأهمّ هذه الملحقات هي:

1. **القالة (La Calle):** كما ذكرنا أنفاً أنّ القالة هي أول مركز طالب الفرنسيون بضمه إلى الباستيون وذلك لقربه من هذه الوكالة،44 وقد استعمل كمحطة وملجأ لسفن الباستيون لأنّ تضاريس ساحل الباستيون لم تكن تسمح بالرسو المريح للسفن. كما كانت تضم مخزينين كبيرين، وحامية مكونة من قائد و14 ضابطاً، ويذكر الأب دان أنها تقع على بعد سبعة أميال شرق الباستيون، وأنها كانت تعتبر ميناء الباستيون، نظراً لاستقبالها لسفن الشحن الكبيرة.45

2. **وكالة عنابة (Bône):** اشترى من عوائد الباستيون، وكانت كبيرة وفسحة، تُشغل خمسة وكلاء للتداول، والذين يقيمون هناك. وتبلغ النفقات السنوية التي تغطي تكاليف صيانة الوكالة والموظفين الخمسة الذين يقيمون فيها خمسة آلاف جنيهاً. وبالإضافة إلى ذلك، فقد تمّ احتساب مبلغ 800 جنيه سنوياً لرؤساء وجنود الحامية التركية، للاحتفاظ بهم كأصدقاء في الأعمال التجارية للباستيون، وإذا اقتربت سفن حربية من ميناء عنابه، فإنّ المطلوب من الوكالة الفرنسية توفير كلّ ما تحتاجه.46

3. **سكيدة أو سطورة (Stora):** يعتبر خليج سطورة؛ الذي بنى الفرنسيون على ضفافه مدينة سكيدة،47 من أولى المراكز الفرنسية، إن لم يكن الوحيد، الذي نصّت

عليه معاهدة الامتيازات.48 وحسب المصادر، فإنه كان من المناطق المفضلة للفرنسيين لصيد المرجان، وذلك لغناه وجودة مرجانه.49 كما أنّ نشاط ميناء سطورة كان لا يقتصر على تجارة المرجان فحسب، بل تعدّاه إلى موادّ أخرى مثل الخيول والجلود والشمع وغيرها.50

4. **القل (Collo):** يعتر هذا المركز؛ القريب من المركز السابق، أهمّ مركز لتصدير الجلود ذات الجودة العالية والثلث الرخيص، كما أنّ هناك موادّ أخرى تصدر من هذا الميناء؛ كالشمع والخيول.51

5. **الرأس الوردي (Cap rose):** يقع على بعد حوالي 18 كيلومتر غرب الباستيون، ويمتد داخل البحر مكوناً الحدّ الشرقي لخليج عنابه.52 ويعتبر الرأس الوردي قلعة أقرب منه إلى المركز التجاري؛ حيث يُعدّ من أشدّ أماكن منطقة عنابه تحصيناً، ويقام فيه ضابط وثمانية جنود، مقابل إحدى والثلاثين جنياً في الشهر للضابط وتسع جنّيات لبقية الجنود، كما يقيم فيها مترجم. ويمكن تعزيز المكان، إذا لزم الأمر، بجنود إضافيين.53 وحسب التاجر جاك سافاري (Jacques Savary) فإنّ هذا المركز يقع في أراضي قبيلة الشيخ امبارك، وبالتالي فهو يعمل على تأمين مرور البضائع المشتركة من الأهالي، في مقابل دفع مبلغ من المال لهذه القبيلة.54

6. **دار الجزائر (Maison d'Alger):** يستعمل هذا البيت كمحلّ إقامة مؤقتة لموظفي الباستيون في مدينة الجزائر، سواء القادمين من فرنسا، أو المكلفين بمهمة لدى حكام الجزائر، قبل التحاقهم بمكان عملهم. ويصفها لابريموداي بأنها كانت كبيرة وأنيقة، وثمان إيجارها 500 جنياً، يقيم فيها موظف مكلف بنقل المراسلات بين وكلاء الباستيون والسلطات المركزية، كما تبلغ تكلفة صيانة هذه الإقامة، إضافة إلى أجرة الموظف القيم، حوالي 800 جنياً في السنة.55

وهكذا نرى أنّ النشاط الاقتصادي الفرنسي في تلك الفترة كان منحصراً في موانئ بايلك الشرق، وأنّ شركة لينش؛ المالكة للباستيون، كانت هي المحكّرة للتجارة مع الجزائر.

خاتمة:

يمكننا أن نستنتج من كل ما تقدم أن الامتيازات الاقتصادية الفرنسية في الجزائر قد بدأت ونمت خلال القرن السادس عشر؛ فقد تطورت من حصن صغير غرب القالة إلى وكالة تجارية كبيرة تضم عدة مراكز وموانئ، وأنّ النشاط التجاري الفرنسي كان منحصراً في شرق الجزائر. وقد تمكنت فرنسا من الحفاظ على هذه الامتيازات بفضل تحالفها مع السلطان العثماني؛ فقد سعت الدبلوماسية الفرنسية جاهدة لتتوصل على تجديد لمعاهدة الامتيازات، كلّما اعتلى سلطاناً جديداً عرش اسطنبول. كما أنّ الجزائريين لم يجدوا بداً عن الاستجابة لطلبات السلطان العثماني بمنح تلك الامتيازات للفرنسيين، خلال القرن السادس عشر، حين كان ارتباطهم قويا بالدولة العثمانية.

الهوامش والإحالات:

1-Charles Féraud: Histoire des villes de la province de Constantine. La Calle, Typ.de l'Association ouvrière V. Aillaud et Cie, Alger, 1877, p93.

2-R.P.Pierre Dan: Histoire de Barbarie et de ses corsaires, Pierre Rocolet Imprimeur et Libraire ordinaire de Roi, Paris, 1646, p54.

3- يحيى بوعزيز: علاقات الجزائر الخارجية مع دول وممالك أوربا 1500-1830، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1985، ص70.

4-M. L. De Mas Latrie: Traités de paix et de commerce et documents divers concernant les relations des chrétiens avec les arabes de l'Afrique septentrionale au moyen âge, Henri Plon imprimeur-éditeur, Paris, 1866, p99.

5- مولود قاسم نايت بلقاسم: شخصية الجزائر الدولية وهيبته العالمية قبل سنة1830، جزآن، دار الأمة، الجزائر، 2007، ج2، ص9.

6-Eugène Plantet: Les consuls de France à Alger avant la conquête 1579 -1830, Messagerie Hachette, Paris, 1930, p5.

7Eugène Plantet: Les correspondances des deys d'Alger avec la cour de France(1579-1833), 2 Tomes, Paris, 1889, T1, Intro, p XXVIII .

8- اسمه الكامل جون دي لافوري، أحد فرسان القديس يوحنا في القدس، وأول سفير فرنسي في استانبول، عين بتاريخ 11فيفري1534م، مهندس أول معاهدة بين فرنسا والدولة العثمانية، توفي في القسطنطينية سنة 1537م. أنظر:

Le Comte de Saint-Priest: Mémoires sur l'Ambassade de France en Turquie, Ernest Leroux Editeur, Paris, 1877, p181.

9-لكن فيرو لم يوضح لنا كيف استطاع دي لافوري أن يضيف هذا البند على هذه النسخة فقط. أنظر: Charles Féraud: op.cit, p91.

10Paul Masson: Histoire des établissements et du commerce français dans l'Afrique barbaresque(1560-1793), librairie Hachette et Cie, Paris, 1903, p5.

11- للاطلاع على بنود هذه المعاهدة أنظر: محمد فريد بك المحامي: تاريخ الدولة العلية العثمانية، تح: احسان عباس، دار النفائس ، بيروت، 1401هـ/1981م، ص223. لياسر بن عبد العزيز القاري: دور الامتيازات الأجنبية في سقوط الدولة العثمانية، رسالة دكتوراه، جامعة أم القرى بمكة، المملكة العربية السعودية، 1422هـ/2001م، ص220. وأنظر أيضاً:

Le Baron I. De Testa: Recueil des Traités de la Porte Ottomane avec les Puissances Etrangères, 4Tomes, Amyot Editeur, Paris, 1867, T1, p15.\M. Belin: Des Capitulations et des Traités de la France en Orient, Challamel Libraire-éditeur, Paris, 1870, p60.

12- السلطان أحمد الأول: ولد في 12 جمادى الثانية 998هـ/18 أبريل 1590م، تولى السلطنة بعد وفاة والده محمد الثالث؛ شهد عصره اشتداد الصراع مع الدولة الصفوية في الشرق ومع النمسا في الغرب، كما أنّ العلاقات السياسية مع فرنسا قد ازدادت متانة، من خلال تجديده لمعاهدة الامتيازات سنة 1604م؛ إضافة إلى

ذلك، فقد شهدت سنة 1609م تجديد الاتفاقيات التي عقدها السلطان محمد الثالث مع مملكة بولونيا، كما أن هولندا قد تحصلت، سنة 1612م، على امتيازات تجارية تضارع تلك الممنوحة لفرنسا و انجلترا. توفي السلطان أحمد الأول في 23 ذي القعدة 1026هـ/22 نوفمبر 1614م. أنظر: محمد فريد بك: المرجع السابق، ص271.

13-F.Elie de La Primaudaie: "Le Commerce et la Navigation De l'Algérie", in, R. A. C, Librairie L. Hachette et C^{ie}, Paris, N°:2, juin 1860, p448.

14-De Mas Latrie: op.cit, p317.

15-Nicolas de Nicolay: Les navigations, pérégrinations et voyages faits en la Turquie, Guillaume Silvius, Imprimeur de Roi, Anvers, 1576, p24.

16- هو محي الدين بييري رايس، ولد سنة 1485م، أتاحت له مشاركته المبكرة في عمليات البحرية العثمانية التعرف على كثير من الموانئ الاسبانية والتونسية والجزائرية والفرنسية، وكان يسجل أخباراً وملاحظات عن هذه المناطق، جمعها فيما بعد في كتاب أسماه "كتاب البحرية"، وأثبتها في خريطة مفصلة. عين سنة 1547م، أميراً للبحرية العثمانية في البحر الأحمر والمحيط الهندي، لكنه أعدم سنة 1554م بعد اتهامه بالتقصير في الحرب ضد البرتغال حول مضيق هرمز. في القسم الثاني من كتابه يصف الجزائر بموانئها: المرسى الكبير، وهران، مستغانم، الجزائر، بجاية، عناية.. أنظر: زهرة زكية: "لمحة عن الجغرافي الأميرال العثماني بييري رايس"، في مجلة الدراسات التاريخية، معهد التاريخ، جامعة الجزائر، 1413هـ/1992م، ع06، ص ص101-106.

17-Robert Mantran: "La description des côtes de l'Algérie dans le Kitab-i Bahriye de Pirî Reis", in, R.O.M.M, MMSH- IREMAM, Aix-en-Provence, N°: 15-16, 1973, p167.

ويقول فيرو، معلقاً على النشاط المكثف للجنوبيين في منطقة عناية حتى سنة 1551م، أن ذلك بسبب عدم التزام الجزائريين بأوامر السلطان العثماني. أنظر: Charles Féraud: op.cit, p92.

18- لقد اقتصر وصف المصدرين لنشاط الجنوبيين ولم يتعرضوا لأي نشاط فرنسي في هذه المناطق. أنظر: حسن الوزان: وصف إفريقيا، تر: محمد حجي ومحمد الأخضر، جزآن، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط2، 1983، ج2، ص162. مارمول كربخال: إفريقيا، تر: محمد حجي وآخرون، 3 أجزاء، دار نشر المعرفة، الرباط، 1984، ج3، ص8.

19-Eugène Plantet: Les consuls de France à Alger avant la conquête, p5.

20-Charles Féraud: op.cit, p93.

21-R.P.Pierre Dan: op.cit, p57.

22-M. Leon Galibert: Histoire de l'Algérie Ancienne et Moderne, Furne Et C^{ie} Libraires-Editeurs, Paris, 1843, p217.

23-Ch. De Rotalier: Histoire d'Alger et de La Piraterie Turque dans la Méditerranée, 2Tomes, Paulin Libraire- Editeur, Paris, 1841, T2, p507.

24-F.Elie de La Primaudaie: op.cit, p448.

25–Nicolas Baudeau: Encyclopédie Méthodique. Commerce, 3Tomes, Panckoucke Libraire, Paris, 1783, T1, p643.

26–Paul Masson: op.cit, p9.

27–الفرسخ: أصله فرنسك، لفظ فارسي، دخل إلى العربية بمعنيين، الأول يدل على الزمن، والثاني ارتبط بمسافة معلومة اتفق على تقديرها بالمسافة التي إذا مشاها الرجل قعد واستراح. وهي تقدر بثلاثة أميال؛ أي ما يقارب 5 كيلومتر. أنظر: مصطفى عبد الكريم الخطيب: معجم الألقاب والمصطلحات التاريخية، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1416هـ/1996م، ص337.

28– هي مؤسسة تجارية أسسها توماس لانش في مرسيليا، سنة 1553م، وكانت تضم نخبة التجار المرسليين، من أمثال دوميرابو (Jean Riqueti de Mirabeau)، بوسيه (Pierre Bausset)، وديديه (Carlin Didier) وقد ازدهر نشاطها منذ حصولها على امتياز صيد المرجان على السواحل الشرقية للجزائر سنة 1561م. أنظر:

Paul Masson: Les compagnies du corail, fontemoing éditeur, Paris, 1918, p17.

29– أوقية (Ecu): أطلق هذا المصطلح على الترس الفرنسي خلال العصور الوسطى، ثم استخدم لنوع من العملة القديمة، وكان يحمل على أحد الوجوه صورة ترس يمثل شعار فرنسا، وقد بلغت قيمته في بداية القرن السابع عشر حوالي أربعة قروش (Piastres). أنظر:

Henri Lamirault et C^{ie}: La Grande Encyclopédie inventaire raisonné des sciences des lettres et des arts, 31 Tomes, H. Lamirault et C^{ie}. Editeurs, Paris, 1885-1902, T15, p533.

30– يحيى بوعزيز: المرجع السابق، ص59.

31–Pierre Heinrich: L'Alliance Franco-Algérienne au XVI^e siècle, Imprimerie V^{ve} Mougin-Rusand, Lyon, 1898, p109.

32–Paul Masson: op.cit, P18.

33– مرسى الخرز: هو الاسم القديم للقالة، يقع شرق الباستيون بأربعة فراسخ، كان معروفاً منذ القرون الوسطى بغنى منطقته بالمرجان؛ حيث استغله الجنويون فترة من الزمن، وقبل خروجهم منه عمد روجير دي لوريا (Roger de Loria) الجنوبي إلى تخريبه، سنة 1286م. وبقي على حاله، إلى غاية منحه إلى الفرنسيين. وقد أسموه القالة (Calle) لأنهم اعتبروه بمثابة موقف وملجأ للسفن التي تعمل في الباستيون. أنظر: Charles Féraud: op.cit, p93.

34– مهمة دفترى رقم 35، صحيفة 122، حكم رقم 314، الرصيد العثماني، الأرشيف الوطني الجزائري. وأنظر الملحق رقم 2.

35– القفيز (Kaffiz) = 2.250 قنطار. أنظر:

Le baron baude: l'Algérie, 2Tomes, Arthus Bertrand Libraire, Paris, 1841, T2, p64.

36– المنور مروش: دراسات عن الجزائر في العهد العثماني، جزآن، دار القصة للنشر، الجزائر، 2009، ج1، ص83.

37–Paul Masson: op.cit, p96.

38- خليل ساحل أوغلي: "إحداث لواء جديد في الجزائر في أواخر القرن السادس عشر يتركب من بلد العناب وباستيون ومتبارقة وقلعة باجة"، في الأصالة، مطبعة البعث، قسنطينة، الجزائر، ع35/34، 1396هـ/1976م، ص163. وأنظر الملحق رقم 5.

39- هو السلطان محمد الثالث ابن مراد الثالث، ولد في 7 ذي القعدة 974هـ/16 مايو 1566م. أمه صفية الإيطالية الأصل، تولى الحكم بعد وفاة أبيه سنة 1003هـ/1595م. شهد عصره عدة حروب في المجر، وبعض الثورات في الأقاليم الآسيوية، قادها بعض جنود الانكشارية. توفي في 12 رجب 1012هـ/16 ديسمبر 1603م. أنظر: محمد فريد بك: المرجع السابق، ص267.

40-Paul Masson: Histoire des établissements et du commerce français dans l'Afrique barbaresque, p15.

41- أنظر الخريطة المرفقة في الملحق رقم 1.

42-Jacques Savary: Le Parfait négociant, 2 Tomes, Chez les frères Estienne, Paris, 1757, T2, p474.

43-Féraud: op.cit, p101.

44- مهمة دفترى رقم 35، صحيفة 122، أمر رقم 314.

45-R.P.Pierre Dan: op.cit, p58.

46-F.Elise de La Primaudaie: op.cit, p456.

47-Charles Féraud: op.cit, p104.

48- ذكر اسم هذا المركز صراحةً في نص معاهدة الامتيازات التي قام بتجديدها السلطان أحمد الأول سنة 1604م.

49-Le Baron I.De Testa: op.cit, T1, p146.

50-Feraud: op.cit, p101.

51-Jacques Savary: op.cit, T2, p475.

52-Peyssonnel et Desfontaines: Voyage dans les Régences de Tunis et d'Alger, 2 Tomes, Librairie de Gide, Paris, 1838, T2, p224.

53-F.Elise de La Primaudaie: op.cit, p456.

54-Jacques Savary: op.cit, T2, p476.

55-F.Elise de La Primaudaie: op.cit, p457.

56- هذه الخريطة من تصميم الباحث.

57- الأرشيف الوطني الجزائري: الرصيد العثماني.

قائمة المصادر والمراجع

أولاً: المصادر والمراجع باللغة العربية

- أ- الوثائق:
- الأرشيف الوطني الجزائري: الرصيد العثماني، مهمة دفترى رقم 35، صحيفة 122، حكم رقم 314.
 - ب- المصادر:
 - 1- كربخال مارمول: إفريقيا، تر: محمد حجي وآخرون، 3 أجزاء، دار نشر المعرفة، الرباط، 1984.
 - 2- الوزان حسن: وصف إفريقيا، تر: محمد حجي ومحمد الأخضر، جزآن، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط2، 1983.
 - ج- المراجع:
 - 1- بوعزيز يحيى: علاقات الجزائر الخارجية مع دول وممالك أوربا 1500-1830، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1985.
 - 2- الخطيب مصطفى عبد الكريم: معجم الألقاب والمصطلحات التاريخية، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1416هـ/1996م.
 - 3- فريد بك محمد المحامي: تاريخ الدولة العلية العثمانية، تح: إحسان عباس، دار النفائس، بيروت، 1401هـ/1981م.
 - 4- مروش المنور: دراسات عن الجزائر في العهد العثماني، جزآن، دار القصة للنشر، الجزائر، 2009.
 - 5- نايت بلقاسم مولود قاسم: شخصية الجزائر الدولية وهيبتها العالمية قبل سنة 1830، جزآن، دار الأمة، الجزائر، 2007.
 - د- المقالات والدوريات:
 - 1- أوغلي خليل ساحل: "إحداث لواء جديد في الجزائر في أواخر القرن السادس عشر يتركب من بلد العناب وباستيون ومتبارقة وقلعة باجة"، في الأصالة، مطبعة البعث، قسنطينة، الجزائر، ع35/34، 1396هـ/1976م.
 - 2- زكية زهرة: "لمحة عن الجغرافي الأميرال العثماني بيري رايس"، في مجلة الدراسات التاريخية، معهد التاريخ، جامعة الجزائر، ع06، 1413هـ/1992م.
- هـ- الرسائل الجامعية:
 - 1- القاري ياسر بن عبد العزيز: دور الامتيازات الأجنبية في سقوط الدولة العثمانية، رسالة دكتوراه، جامعة أم القرى بمكة، المملكة العربية السعودية، 1422هـ/2001م.

ثانياً: المصادر والمراجع باللغة الأجنبية

أ- المصادر:

- 1- Baudeau Nicolas: Encyclopédie Méthodique. Commerce, 3Tomes, Panckoucke Libraire, Paris, 1783.
- 2- Dan R.P.Pierre: Histoire de Barbarie et de ses corsaires, Pierre Rocolet Imprimeur et Libraire ordinaire de Roi, Paris, 1646.
- 3- Nicolay Nicolas de: Les navigations, pérégrinations et voyages faits en la Turquie, Guillaume Silvius, Imprimeur de Roi, Anvers, 1576.
- 4- Savary Jacques: Le Parfait négociant, 2 Tomes, Chez les frères Estienne, Paris, 1757.

ج- المراجع:

- 1- Baude Le baron: l'Algérie, 2Tomes, Arthus Bertrand Libraire, Paris, 1841.
- 2- Belin M.: Des Capitulations et des Traités de la France en Orient, Challamel Libraire-éditeur, Paris, 1870.
- 3- Féraud Charles: Histoire des villes de la province de Constantine. La Calle, Typ. de l'Association ouvrière V. Aillaud et C^{ie}, Alger, 1877.
- 4- Galibert M. Leon: Histoire de l'Algérie Ancienne et Moderne, Furne Et C^{ie} Libraires-Editeurs, Paris, 1843.
- 5- Heinrich Pierre: L'Alliance Franco-Algérienne au XVI^e siècle, Imprimerie Vve Mougin-Rusand, Lyon, 1898.
- 6- Lamirault Henri et C^{ie}: La Grande Encyclopédie inventaire raisonné des sciences des lettres et des arts, 31 Tomes, H. Lamirault et C^{ie}. Editeurs, Paris, 1885-1902.
- 7- Mas Latrie M. L. De: Traités de paix et de commerce et documents divers concernant les relations des chrétiens avec les arabes de l'Afrique septentrionale au moyen âge, Henri Plon imprimeur-éditeur, Paris, 1866.
- 8- Masson Paul: Histoire des établissements et du commerce français dans l'Afrique barbaresque (1560-1793), librairie Hachette et C^{ie}, Paris, 1903.
- 9- Masson Paul: Les compagnies du corail, fontemoing éditeur, Paris, 1918.
- 10- Peyssonnel et Desfontaines: Voyage dans les Régence de Tunis et d'Alger, 2 Tomes, Librairie de Gide, Paris, 1838.
- 11- Plantet Eugène: Les consuls de France à Alger avant la conquête 1579 -1830, Messagerie Hachette, Paris, 1930.
- 12- Plantet Eugène: Les correspondances des deys d'Alger avec la cour de France (1579-1833), 2 Tomes, Paris, 1889.
- 13- Rotalier Ch. De: Histoire d'Alger et de La Piraterie Turque dans la Méditerranée, 2tomes, Paulin Libraire-éditeur, Paris, 1841.
- 14- Saint-Priest Le Comte de: Mémoires sur l'Ambassade de France en Turquie, Ernest Leroux Editeur, Paris, 1877.
- 15- Testa Le Baron I. De: Recueil des Traités de la Porte Ottomane avec les Puissances Etrangères, 4tomes, Amyot Editeur, Paris, 1867.

د- المقالات والدوريات:

- 1- La Primaudaie F.Elise de: "Le Commerce et la Navigation De l'Algérie", in, R. A. C, Librairie L. Hachette et C^{ie}, Paris, N°:2, juin 1860.
- 2- Mantran Robert: "La description des côtes de l'Algérie dans le Kitab-i Bahriye de Piri Reis", in, R.O.M.M, N°: 15-16, 1973.

الملحق رقم 1
خريطة توضح أماكن تواجد وكالة الباستيون وملحقاتها خلال النصف الأول من
القرن السابع عشر 56

الملحق رقم 2
مهمة دفتری رقم 35 صحيفة 122 حكم رقم 314 - 57

مهمة دفتری رقم 35

صحيفة 122

حكم رقم 314

بتاريخ 98 6/6/2

اعطى في الديوان الى امين الترسخه
حكم الى امير امراء جزائر الغرب

تقدم الكفرة الفرنسيون بعرض حاك للحصول على اجازتنا الهمايونية
بشان السماح لهم بصيد المرجان في سارقارز (كذا) الواقعة بين الجزائر الغرب وتونس
حيث سبق للكفرة الجنوبيين ان كانوا يططادون المرجان هناك من ذى قهل و عليه ، فقد
امرنا :

حال وصوله ، يجب السماح للكفرة الفرنسيين بصيد المرجان في المكان
المشار اليه ، وعدم التعرض لهم في ذلك السبيل شريطة عدم اقامة اى قلعة او علاقة لهم
في المكان المذكور ، وكذلك شريطة ادائهم ضريبة لعشر على المرجان الذى يططادونه .

تعريب : محمد داود التميمي

